الأثر التّداولي للمجاز عند عبد القاهر الجرجاني.

The pragmatic effect of stylistic device cording to Abd al-Qahir al-Jurjani

د. سهام حشايشي

أستاذة محاضرة صنف (أ)، جامعة خميس مليانة

s.hechaichi@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال:2021/12/20 تاريخ القبول: 2023/01/02 تاريخ القبول: 2023/01/08

ملخص يزخر التراث النقدي العربي بزخمٍ من المقولات والنظريات المعرفية التي نجد لها حضورًا في المشروع النقدي المعاصر، ومنها النظرية التداولية، بما تتضمّنه من مفاهيم وبحوث وقراءات متشعّبة، وإذا كانت التداولية تعني، من منظور النقد المعاصر، جملة البحوث المختصة بالأداء الكلامي أو المنجز الخطابي في بُعده التواصلي والحواري، فإنّ مفهومها من منظور النقد القديم يسلك الاتّجاه ذاته، حيث أكّدت البلاغة العربية القديمة على قيمة العملية التواصلية بين المتكلّم والمخاطَب، بما تقتضيه من عناصر أسلوبية، جمالية، وبلاغية تروم التأثير في المتلقي وإقناعه بالرسالة/موضوع الخطاب، ويعدّ عبد القاهر الجرجاني، من البلاغيين القدماء الذين أدركوا مبادئ التداولية في البلاغة العربية، وحرصوا على إقامة مشروع بلاغي ثريّ بالنظريات والتطبيقات على السواء بما يخدم اللغة العربية في شقّها التواصلي.

الكلمات المفتاحية: التداولية، النقد، البلاغة، الخطاب، التواصل.

Abstract:*The Arab critical heritage is abundant with an impetus of cognitive statements and theories that we find present in today's critical project, including the pragmatic theory, with its complex concepts, research, and readings. If, from the perspective of contemporary criticism, pragmatics means the whole range of research on verbal performance or rhetorical achievement in its communicative and dialogical dimension, its concept from the perspective of ancient criticism follows the same direction. The ancient Arabic rhetoric underscored the value of the communication process between the speaker and the addressee, with the requisite stylistic, aesthetic and rhetorical elements aimed at influencing the recipient and persuading him of the*

message/subject of the speech. Abd al-Qahir al-Jurjani is one of the ancient rhetoricians who recognized the principles of pragmatics in Arabic and were keen to establish a rhetorical project rich in both theory and application in order to serve the Arabic language in its communication aspect.

Key– words: *pragmatics, criticism, rhetoric, discourse ,communication*.

1. تمهيد:

تُعدّ التداولية على اختلاف مفاهيمها وتوجّهاتها، وتشعّب آلياتها الإجرائية، من أكثر الحقول المعرفية ذيوعا وأوفرها حضورا في الدراسات النقدية المعاصرة، وإذا كانت التداولية – في أبسط مفاهيمها – تبحث في الأداء الكلامي أو المنجز الخطابي ببُعديه التواصلي والحواري، فإنّ هذا المفهوم يسلك الاتّجاه ذاته، في البلاغة العربية القديمة التي اهتمّت بقيمة العملية التواصلية بين المتكلّم والمخاطَب، بما تقتضيه من آليات التأويل والإقناع، ويعدّ عبد القاهر الجرجاني، من البلاغيين القدماء الذين كانت جهودهم إرهاصا للمشروع النقدي التداولي الحديث، حيث كان تفكيره البياني يهدف إلى الارتقاء بالبلاغة العربية، من خلال البحث في أساليبها الحجاجية التواصلية الخاضعة لشروط التلقي والتأويل.

2. مفهوم التداولية من منظور النقد العربي والغربي:

تعدّ التداولية Pragmatique /Pragmatics حقلا معرفيّا مهمّا أثار جدلا واسعا في كتابات النقّاد المعاصرين، لِما تتضمّنه من لُبس في ظروف نشأتها ومجالات اشتغالها وتقاطعها مع حقول معرفية شتّى، "وتتويجا لهذه الثورة، حظي الدرس التداولي باهتمام كبير.. ويُعزى هذه الاهتمام إلى الالتباس المصاحب للفظ التداولية، وهو التباس راجع إلى تعدّد مباحثها وتباين روافدها واختلاف وجهات النظر حول وضعها الاعتباري، كما يُعزى إلى التقاطع الذي يُتيحه الدرس التداولي بين حقول

معرفية متنوعة، فلسفية ولسانية ونفسية واجتماعية وانثربولوجية.. على نحوٍ جعل التداولية ملتقى التخصصات"[1]

ويمكن تقديم التداولية في أبسط مفهوم لها على أنّها "دراسة اللغة قيد الاستعمال أو الاستخدام language in use بمعنى دراسة اللغة في سياقاتها الواقعية لا في حدودها المعجمية، أو تراكيبها النحوية"[2] بمعنى أنّها تُعنى بدراسة اللغة في صورة اشتغالها الفعليّ (الخطاب/ الكلام)، بما يتضمّنه من قصدٍ وإفهامٍ وتأثيرٍ وتأويلٍ بين المتكلّم والمخاطَب، لا كما نجدها في المعجم أو القاموس، كما وردت تعريفات أخرى لها ضمن كتاب (التداولية من أوستن إلى غوفمان) على أنّها: "دراسة للغة بوصفها ظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية (ف. جاك F.Jacques)... أو أنّها التخصّص الذي يندرج ضمن اللسانيات ويهتمّ أكثر باستعمال اللغة في التواصل (ل.سفز L .Sfez)"[3]، فمجال التداولية يتأسّس على فكرة المداولة والتواصل والتفاعل بين المتكلّم/ المخاطَب، ويؤكّد هذا القول الدكتور طه عبد الرحمان: "وقد وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلاً للمصطلح الغربي (براغماتيقا) لأنّه يوفّي المطلوب حقّه، باعتبار دلالته على معنيي: الاستعمال والتفاعل معًا"[4]، وعموما يمكن القول أنّ التداولية: تهتمّ بدراسة اللغة في شقّها الخطابيّ، بين المتكلّمين والمستمعين، ضمن سياق اجتماعي معيّن، وهي تتوخّى التركيز على الظواهر الخطابية المتعدّدة والناتجة عن عملية التواصل تلك، بهدف تعميق الفهم بمقاصد المتكلّمين وجهودهم الإقناعية/ التأثيرية، ومدى انسجام تلك المقاصد مع خطاباتهم، حتّى تتحقق قيمة الفهم والتأويل.

3. الأصول الفلسفية للتداولية:

يتّفق الباحثون على أنّ التداولية انطلقت من الدّرس الفلسفي إلى الدّرس اللساني عبر مراحل متعددة، وقد أسهمت كلّا من الفلسفة التحليلية والفلسفة البراغماتية (النفعية) في نشأة وتطوّر مفهوم التداولية، التي "انتقلت نقلة أولى من

المناقشات الفلسفية إلى التحليلات اللسانية بفضل **بيرس** C.s Pierce إذ لم تكن جهود بيرس المؤسِّسة للتداولية مقتصرة على الجانب الفلسفي المنطقي التجريبي فحسب، بل إنّا نجد لجهوده السيميائية الأثر الأكبر في نشأتها، وفي تطوّرها اللساني"[5]، فقد أسهم الفلاسفة النفعيون والتحليليون في معالجة بعض التراكيب اللغوية والتواصلية في مجال الفلسفة، وربطها بالفكر والمقاصد، فلاحظوا الاختلاف الحاصل بين العبارات الإخبارية والعبارات التأثيرية وبين اللغة كنمط/نظام ثابت، والكلام بوصفه استعمالا للغة، ثمّ انتقلت تلك الدراسات إلى علم اللسان، فتحولت التداولية من شكلها الوصفي/النفعي إلى شكلها اللساني، ثمّ رُبطت أبعاد إدلال اللغة بالاستعمال والسياق والمقاصد والتواصل والأثر[6]، كما أسهم **موريس** W.Morris.C في التأسيس لمفهوم التداولية وتطويرها من خلال إنشاء علاقات بينية تنقسم إلى:

- **العلاقة التركيبية التي تقوم بين العلامات نفسها.**
- **العلاقة الدلالية التي تقوم بين العلامات والأشياء.**
- **العلاقات التداولية التي تقوم بين العلامات والمتخاطبين.**

وهي علاقات تمثّل الأبعاد الثلاثة للعلامة السيميائية/ السيمزويس، وهي البعد التركيبي، البعد الدلالي والبعد التداولي، "فأصبح بذلك المؤسّس الحقيقي للتداولية، بل إنّه يُعدّ أوّل من وضع تعريفا لها سنة 1938م، إذ يرى أنّها جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[7]، وفي الخمسينيات من القرن الماضي، ظهرت أبحاث جديدة ونظريات حول التداولية، كان لها أثر فاعل في تحديد اتّجاهها وتبلور مفاهيمها، لاسيما مع أبحاث: برتراند راسل B.Russell، فتكنشتاين L.Wittgenstein، فلاسفة أكسفورد، حلقة فيينا وغيرهم.

4. ملامح النظرية التداولية في البلاغة العربية القديمة:

تتقاطع النظرية التداولية الحديثة مع كثيرٍ من مباحث البلاغة العربية القديمة، كما أنّ جزءً وافرا من مبادئ التداولية له حضور في المنجز البلاغي القديم، بمسمّيات مغايرة، لكنّ المفاهيم والإحالات هي نفسها، نضرب مثلا بعبارة: (مقتضى الحال/ المقام) في المنجز البلاغي القديم، هو إحالة على طريقة منهجية في تحقيق الظروف والسياقات الملائمة لعملية التواصل بين المتكلّم والمخاطَب، وهي عبارة تمتدّ إلى أحد أهمّ مصطلحات التداولية، وهو السياق، كما نزعم أنّ علم المعاني بما يتضمنه من أساليب، لاسيما (الخبر والإنشاء)، يتقاطع مع بعض مرتكزات التداولية كالأفعال الكلامية، ومن جانب آخر يمكن الحديث عن (البيان) بما يتضمنه من مجاز واستعارة وغيرها من الصور البلاغية التي تخضع لعملية التأويل وتعدّد القراءة، وهو المبدأ التقويمي التداولي الذي يفسّر تلك الصور في أبعادها الإخبارية والتأثيرية.

تحدّث الدكتور **عامر خليل الجراح** عن بعض النقاط التي تلتقي وتتداخل فيها البلاغة العربية بالتداولية فيما يلي:

1.4. علاقة علم البيان البلاغي بالتداولية: عرّف الجاحظ (البيان) بكونه كلّ ما يكشف الحُجب عن المعنى ويساعد السامع على فهم الحقيقة "وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار ودقّة المدخل، يكون إظهار المعنى، وكلّما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع، والدلالة الظاهرة على المعنى الخفيّ هو البيان"[8]، وغاية البيان عند الجاحظ هي توضيح المعنى وتحقيق الفهم "لأنّ مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنّما هو الفهم والإفهام، فبأيّ شيء بلغتَ الإفهام وأوضحتَ المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع"[9]

ثمّ إنّ الاستعارة والكناية هي ضروب للبيان، جرى الحديث عنهما من قِبل الباحث **عامر خليل الجراح**، في علاقتهما بالنظرية التداولية المعاصرة، ومدى خضوعهما للتقويم التداولي، فيقول عن الاستعارة أوّلا: "تتجلّى علاقة علم البيان

البلاغي بالتداولية من خلال الحديث عن علاقة الاستعارة بأحد المفاهيم التداولية البارزة، إنها الدلالة غير الحرفية، فالاستعارة من حيث دلالتها غير الحرفية تتمّ معالجتها تداوليّا، إذ تبتّ المعالجة التداولية في مسألة صدقها أو كذبها"[10]، بمعنى أنّ؛ الاستعارة قد تكون صادقة من الوجهة غير الحرفية أم كاذبة من الوجهة الحرفية، ووحده المقام التداولي من يُخضع الاستعارة لاختبار الصدق والكذب بناءً على طرق استعمالها، وأنماط التعبير بها، فالنظرية التواضعية للأعمال اللغوية عند **سيرل**، ترى أنّه لا توجد فكرة لا يمكن التعبير عنها بأقوال حرفيّة، وهذه النظرة ذات بعد بياني إخباري، وتذهب النظرية الاستدلالية التداولية عند **سربر** D.Sperper **وولسن** D.Wilson إلى كون القائل بالاستعارة لا يلتزم بصدق القضية التي يعبّر عنها، وهي نظرة تركّز على الجانب التأثيري[11]، ويمكن العودة إلى نظرية الملاءمة Théorie de la pertinence التي تفصّل في رأييهما حول تفسير المقولات القابلة للتأويل وفق مقام التلفظ بها.

وعن الكناية ثانيا، يتحدث الدكتور **عامر خليل**: "فالكنايات من أكثر الصور البلاغية صلة بالتداولية، إذ تخضع لشروط تخاطبية عرفية يقرّها التداول"[12]، لاسيما ما تعلّق منها بالرمز الذي يستدعي فكّ سننه وتأويله أثناء العملية التواصلية.

من جانب آخر، تطرّق الدكتور **مسعود صحراوي** عن علاقة ظاهرتي (الخبر والإنشاء) بمصطلح أفعال الكلام عند منظّري التداولية المعاصرين:

2.4. علاقة الخبر والإنشاء بأفعال الكلام: اشتغل علماء اللغة والبلاغيون والفلاسفة والنحاة في التراث العربي على ظاهرة (الخبر والإنشاء)، التي تندرج ضمن مباحث علم المعاني، بكلّ ما يتّصل بها من قضايا ومباحث وشروحات، مستعينين على ذلك بنظرياتهم الدقيقة وتحليلاتهم المنطقية وشروحاتهم المفصّلة لتقويم الظاهرة والإحاطة بها من كلّ جوانبها اللغوية والأسلوبية والدلالية والتواصلية، "ففي التراث العربي تندرج ظاهرة الأفعال الكلامية ضمن مباحث علم المعاني، وموضوع هذا الفرع

اللغوي في ذلك التراث هو: تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان... ليحترز بالوقوف عليها من الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره"[13]، والفعل الكلامي عنده هو "كلّ ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري، وفضلا عن ذلك، يعدّ نشاطا ماديّا نحويّا يتوسّل أفعالا قولية Actes Locutoires لتحقيق أغراض إنجازية Actes Illocutoires كالطلب والأمر والوعد والوعيد... وغايات تأثيرية Actes Perlocutoires تخصّ ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول، ومن ثمّ فهو فعل يطمح إلى أن يكون فعلا تأثيريا"[14]، بمعنى؛ من خصائص الفعل الكلامي: الدلالة، التأثير والإنجاز، التي تقابل مفهوم علم المعاني المذكور آنفا، كما توسّع الباحث **مسعود صحراوي** في تفصيل تلك المسألة من خلال الحديث عن البعد التداولي للظاهرة، ومعايير تمييز العلماء العرب بين الخبر والإنشاء وتقسيماتهم لهما، والأفعال الكلامية المنبثقة عنهما، ليخلص إلى نتيجة مفادها أنّ: الدّرس البلاغي العربي وكذا الدرس النحوي واللغوي لا يكاد يخلو من الأبعاد التداولية للخبر والإنشاء، لاسيما إذا قورنت بأفعال الكلام عند التداوليين المعاصرين أمثال: **أوستين، سيرل** وغيرهما.

3.4. علاقة مطابقة الكلام لمقتضى الحال بنظرية الملاءمة: وعن وجوب مطابقة الكلام لمقتضى الحال في البلاغة العربية، أو ما تعبّر عنه نظرية الملاءمة Théorie de la pertinence في الدرس التداولي المعاصر، فيمكن إيجاز التقارب بينهما فيما يأتي من القول:

تقوم البلاغة العربية على مبدإ مطابقة الكلام لمقتضى الحال، ويتجلّى ذلك أكثر في البيان وعلم المعاني، يقول **السكاكي** في تعريف علم المعاني: "(هو تتبّع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتّصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره)، ويقول في تعريف البيان: (هو معرفة إيراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه

وبالنقصان، ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه)"[15]، وكِلا التعريفين يروم توضيح فكرةٍ مؤدّاها: حتّى يكون الكلام حاملا لمعناه، قادرا على تحقيق الغرض منه في العملية التواصلية، لابدّ له أن يكون مطابقا لمقتضى الحال، مُراعيًا للمقام، ويُردف **السكاكي** في فصل (لكل مقام مقال): "ثمّ إذا شرعت في الكلام، فلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام، ولكلّ حدّ ينتهي إليه الكلام مقام، وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به، وهو الذي نسمّيه مقتضى الحال"[16]، بمعنى أنّ الكلام يرتفع شأنه وقيمته ويحقّق الفهم والإفهام، بقدر مطابقته لمقامه، والعكس كذلك.

وفي نظرية الملاءمة عند التداوليين المعاصرين ومنهم: **سبربر وولسن**، نجد أنّ سياق الكلام يؤدّي دورا مهمّا في اكتمال عناصر العملية التواصلية "فالسياق يؤدّي دورا حيويّا في السيرورات الاستدلالية التي ينجزها النسق المركزي، وتتضافر عدّة مكوّنات لتشكيله، منها مقام التواصل، معتقدات المخاطَب وتأويل الأقوال السابقة، ممّا يجعله ذا طابع متحوّل وغير ثابت، يُبنى بطريقة مستمرّة وتتعدّل مساراته حسب المعلومات التي يكشف عنها المتحاورون عن محيطهم المعرفي، وهو محيط يساعد المخاطَب على ترجيح افتراض ملائم من بين جملة من الافتراضات الواردة"[17]، بمعنى؛ يتكوّن السياق في نظرية الملاءمة من جملة من العناصر التي تُسهم في تشكيله منها: القدرات الإدراكية لدى المخاطَب، والعمليات التأويلية لجملة المعاني المتضمنة للقول، ومن المعلومات المختزنة في الذاكرة وكذا المحيط المكاني الذي تجري فيه عملية التواصل، والتي تسهم جميعها في تكوين السياق العام للخطاب، والذي يُفهم من خلاله الكلام فيؤدّي الغرض منه.

5. البعد التداولي للمجاز في المنجز النقدي والبلاغي عند الجرجاني:

1.5. في مفهوم المجاز عند الجرجاني: شغلت قضية (المجاز) حيّزا واسعا من دائرة الاشتغال البلاغي عند القدماء، فتعدّدت مفاهيمه وتعريفاته بتعدّد المذاهب

الفكرية، الاتجاهات العقديّة والمسالك اللغوية، يشرحه **عبد القاهر الجرجاني** من الناحية اللغوية بقوله: "المجاز (مَفْعَلٌ) مِن: جازَ الشيءَ يجُوزُه، إذا تعدّاه، وإذا عُدل باللفظ عمّا يُوجبه أصل اللغة، وُصف بأنّه (مجاز)، على معنى أنّهم جازوا به موضعه الأصليّ، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أوّلا"[18]، كما عرّفه اصطلاحًا فقال: "وأمّا المجاز فكلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأوّل، وإن شئت قلت: كلّ كلمة جزت بها ما وقعت له في وضع الواضع، إلى ما لم تُوضع له، لملاحظة بين ما تجوز بها إليه وبين أصلها الذي وضعت له، في وضع واضعها"[19]، وقصده من ذلك أنّ؛ المجاز يجوز للكلمة أن تعبّر عن غير ما وُضعت له في معناها الحقيقي، ويُعطي مثالا عن ذلك على النحو الآتي:

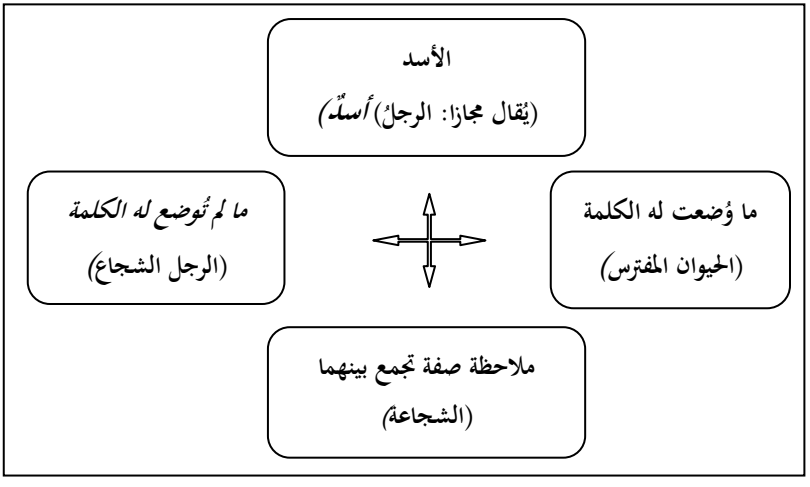

كما فرّق **الجرجاني** بين (المجاز العقلي) و(المجاز اللغوي)، حيث قصد بالأوّل "كلّ جملةٍ أخرجت الحكم المفاد بها عن موضوعه في العقل، لضربٍ من التأوّل"[20]، بمعنى؛ يُحكم على الجملة/التركيب الإسنادي، بالمجاز العقلي من جهة المعقول لا اللغة (يكون المرجع فيه العقل دون اللغة)، أي؛ إسناد الفعل إلى غير ما هو له، ممّا لا

يختصّ به في الأصل، لعلاقة بينهما، مع وجود قرينة مانعة من الإسناد الحقيقي، أمّا الثاني فقصد به: "المجاز الذي مأخذه اللغة، وهو مَفعلٌ من جاز الشيء يجوزه إذا تعدّاه، وإذا عدل باللفظ عمّا يُوجبه أصل اللغة... والمجاز اللغوي أعمّ من الاستعارة، وكلّ استعارة مجاز وليس كلّ مجاز لغويّ استعارة"[21]، بمعنى؛ يُحكم على الكلمة/ اللفظة، بالمجاز اللغوي، من جهة العدول بها عمّا وُضعت له في أصل اللغة، مع ملاحظة الأصل أو العلاقة بينهما، وإذا كان المجاز اللغوي مبنيّا على التشبيه فهو استعارة، وإن لم يُبنَ على المشابهة فهو مجاز مرسل (غير مقيّد بقيد).

2.5. البعد التداولي للمجاز عند الجرجاني: اتّفق الدّارسون على أنّ البلاغة العربية تحمل أبعادا تداوليّة شتّى، لأنّ غايتها تبليغ المعنى وإفهام المتلقّي بأحسن الطرق صياغةً وأسلوبا، وأجودها دلالةً وإيحاءً، حتّى يقع التأثير والإقناع، وقد أورد **الجرجاني** في **(دلائل الإعجاز)** مفهوما عامّا وشاملا للبلاغة وما يجري مجراها من البيان والفصاحة بكونها: "وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دِلالةً، ثمّ تبرّجها في صورة هي أبهى وأزين وآنقُ وأعجب وأحقّ بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظّ الأوفر من ميل القلوب... ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن تأتي المعنى من الجهة التي هي أصحّ لتأديته، وتختار له اللفظ الذي هو أخصّ به وأكشف عنه وأتمّ له"[22]، فالبلاغة عند **الجرجاني** هي أن يدلّ الكلام على معناه في أبهى مظهر، وأجمل صياغة، وأحسنِ تعبيرٍ من جهة اللفظ والمعنى معا، وعلى المتكلّم أن يُحسن انتظام المفردات وفق نسيج متآلف محكم البناء.

وعن المجاز، كمبحث مهمّ من مباحث البلاغة، فقد نال الحظّ الأوفر من دراسات وأبحاث **الجرجاني**، لما يتضمّنه من أبعاد تواصلية وحجاجية شتّى، تُسهم في تعزيز وإنجاح عملية التواصل بين المتكلّم والمخاطَب، وتحقيق الغرض منها:

1.2.5. الوظيفة التواصلية للمجاز:

يرى **عبد القاهر الجرجاني** في المجاز آليّة فاعلة وطرفا مهمّا من أطراف العملية التواصلية، يقول عنه: "هو كنز من كنوز البلاغة، ومادّة الشاعر المفلق، والكاتب البليغ، في الإبداع والإحسان، والاتساع في طرق البيان، وأن يجيء بالكلام مطبوعا مصنوعا، وأن يضعه بعيد المرام، قريبا من الأفهام"[23]، فمن أسرار نباهة المتكلّم وجمال تعبيره، توظيف المجاز في كلامه، سواءً كان عقليّا أم لغويّا، ومن أبواب المجاز: التشبيه والكناية والاستعارة والمجاز المرسل، ولا يكون المجاز استعارة إلّا إذا قام على التشبيه، وإلّا فهو مجاز مرسل، ولا قيمة لتلك الصور التخييلية، إن لم تُحدث أثرا حسنا، ووقعا مستساغا في ذهن المتلقي وقلبه، ولا يقع ذلك إلّا إذا كانت مُحكمة الصياغة، وافية لمعناها.

والاستعارة (باعتبارها ضربا من ضروب المجاز) هي أكثر الصور البيانية حضورا في المقام التواصلي للخطاب، هذا المقام الذي يشمل المتكلّم والسامع بكلّ مداركهما العقلية والمعرفية التي تُسهم في تبليغ الخطاب، فمن الضروريّ إذن، التنبيه إلى الوظيفة العملية، للاستعارة وفعاليتها في تحريك همّة المستمع إلى تفسيرها تِبعا لمعاييره العقلية، وقدراته الإدراكية، وثقافته اللغوية، ومن ثمّة الاقتناع بها، والالتزام بقيمها، فمدارُ فهمِ الاستعارة ليس على المعنى المباشر للفظ، وإنّما على معنى ثانٍ يتولّد في النفس، انطلاقا من المعنى الحقيقي، ويصل إليه المستمع/المتلقّي، إمّا بلزوم قريب عن المعنى الظاهر أو بلزوم بعيد يقتضي وسائط دلالية أخرى تزيد أو تنقص[24]، وبالتالي يمكن القول، أنّ الاستعارة عند **الجرجاني** تحمل أبعادا تداولية، من شأنها تحقيق التواصل الاجتماعي بكلّ أهدافه.

2.2.5. الوظيفة الحجاجية (الإقناعية) للمجاز:

يؤدّي المجاز وظيفة إقناعية من خلال عملية الإفهام التي يرمي إليها المتكلّم، ويمكن الجزم بأنّ أنواع البيان كلّها، التي تندرج ضمن علم البلاغة، تتضمّن هذه الوظيفة المهمّة، وطالما اشتغل الدارسون والباحثون في اختصاصات كثيرة ومتنوعة على

وظيفة الإقناع في الممارسة الكلامية، أو في فعل الخطاب، لما لها من دورٍ فاعلٍ في التأثير على المخاطَب من جهة، وما تُثيره من متعة جمالية وما تحققه من منفعة لأطراف العملية التواصلية من جهة أخرى، ويعدّ المجاز واحدا من المباحث البلاغية التي تؤدّي وظيفة حجاجية إقناعية في الكلام، "فقد ربط كثير من العلماء التراثيين والمحدثين المجاز بالحجاج وعمليات التأثير التي يسعى المتكلّم إلى تحقيقها، فالمتكلّم يستعين بهذه الظاهرة اللغوية لجعل المتلقي ينخرط في دعواه اعتمادا على التأثير الذي يحققه المجاز في النفوس... فهو يركّز على جانب الإفهام والإيضاح وجعل صورة الشيء بارزة أمام المتلقي لجعله يعتقد بصدق دعوى المتكلم"[25]، فالمجاز إذن هو أداة تواصلية يوظّفها المتكلّم/ المرسِل لتوجيه خطابه وإقناعهم بفحواه، مع مراعاة جملة من الشروط أهمّها:

- علاقة المجاز بثقافة المتلقي وقدراته الفكرية والإدراكية حتى يقع التأويل موقعا مقبولا.
- مراعاة السياق الذي يرد فيه المجاز.

من جانب آخر، يمكن القول أنّ المجاز يحقّق كفاءته وفعاليته الإقناعية ، إن كان حضوره مرتبط بسياقٍ حواريّ، ذلك أنّ للمجاز وظائف عدّة: جمالية، تفسيرية، إخبارية، نفعية، أمّا الوظيفة الإقناعية فهي ترتبط، بشكل واضح، بالخطاب الحواريّ، فالمتحاورون يسعون دوما إلى إثبات وجهات نظرهم، وأفكارهم وتثمين آرائهم، لهذا يلجؤون إلى إمداد خطاباتهم بآليات تعبيرية ذات تأثير قويّ، ومنها المجاز، للتدليل على كلامهم وبناء الحجج عليه.

ربط **عبد القاهر الجرجاني** المجاز بآليّتي الادّعاء والاعتراض، ذلك لإيمانه بحجاجية المجاز وحاجة المتكلمين له، أكثر من حاجتهم للحقيقة، فإذا كان (المدّعي) واثقا من صدق دعواه، وله حجج وإثباتات تؤكّد تلك الدعوى، فله الحقّ في مطالبة (المعترض) بتصديق دعواه والاقتناع بها[26]، ومن هذا المنطلق، تثبتُ فعالية المجاز في

الحجاج والمحاورة من خلال قدرته على توجيه القصد، والفهم، وترسيخ فحوى الدعوى/موضوع الخطاب، في ذهن المتلقي/المعترض، ليتمّ قبولها والتسليم بها أو إبطالها (بحسب مقام الدعوى)، ليكون بذلك المجاز أبلغ من الحقيقة ضمن مقام الحوار والتحاجج.

يقول **الجرجاني** في معرض حديثه عن الاستعارة (المجاز): "واعلم أنّ العقلاء بنوا كلامهم إذا قاسوا وشبّهوا على أنّ الأشياء تستحقّ الأسامي لخواص معاني فيها دون ما عداها، فإذا أثبتوا خاصّة شيء لشيء أثبتوا له اسمه... وليست الاستعارة نقل اسم عن شيء إلى شيء، ولكنّها ادّعاء معنى اسم لشيء"[27]، يقصد بذلك؛ أنّ مصدر قوّة وبلاغة الاستعارة (المجاز) تكمن في الادّعاء لا في النقل، لأنّ النقل أقرب إلى الحقيقة منه إلى البلاغة، وإقناع السامع بجدوى القضية أو الفكرة/موضوع الخطاب، يستدعي الالتزام بصدق الادّعاء أوّلا ثمّ النباهة والفصاحة والقدرة على التأثير وجمال التعبير وقوة الحجة والبرهان ثانيا، فكلّ تلك العناصر تتضمنها البلاغة، والمجاز جوهر البلاغة، والهدف من كلّ ذلك هو الاقتناع بموضوع الخطاب والتسليم به، فيكون المجاز سبيلا لتحقيق الغاية والهدف.

6. خاتمة:

- ارتكز البعد التداولي للمجاز عند **الجرجاني** على وظيفتي التواصل والإقناع وهما الوسيلتان الأكثر فعالية في تحقيق الفهم والإفهام بين أطراف العملية التواصلية.
- يُسهم المجاز – **عند الجرجاني** – بشكلٍ فاعلٍ في إنجاح الحوار وتعزيز تبادل الأفكار والتجارب بشتى أنواعها.
- نبّه **الجرجاني** إلى اختلاف أنماط المجاز وتعدد استعمالاته بتعدّد المقامات والمواقف، غير أنّ الغرض الأساس منه يكمن في تبليغ الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي بأحسن وأنمق صورة.

7. الهوامش:

[1]. جواد ختام، التداولية أصولها واتّجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016 ص09.

[2]. بهاء الدين محمّد مزيد، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1 شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر 2010، ص18.

[3]. يُنظر: فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر، صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007 ص19.

[4]. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، 2000م، ص28.

[5]. عامر خليل الجراح، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ط1، دار سنابل، اسطنبول تركيا، 2019، ص18.

[6]. ينظر، المرجع نفسه، ص29/28.

[7]. المرجع نفسه، ص20.

[8]. الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام محمّد هارون،ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1998م، ص75.

[9]. المصدر نفسه، ص76.

[10]. عامر خليل الجراح، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ص51.

[11]. ينظر، المرجع نفسه، ص51.

[12]. المرجع نفسه، ص52.

[13]. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة بيروت، لبنان، 2005، ص49.

[14]. المرجع نفسه، ص40.

[15]. أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ط1، منشورات النهضة، بغداد، العراق، 1964 ص128.

[16]. السكاكي (أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر محمّد ابن علي)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور ط2، دار الكتب، بيروت لبنان،1998م، ص168.

[17]. جواد ختام، التداولية أصولها واتّجاهاتها، ص126.

[18]. الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمّد)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمّد شاكر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 1991م، ص395.

[19]. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، دط، دار مصر للطباعة القاهرة، مصر،1962، ص236.

[20]. المرجع نفسه، ص239.

[21]. المرجع نفسه، ص241/240.

[22]. الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن محمّد)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود محمّد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 2004، ص43.

[23]. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص245.

[24]. يُنظر بتصرّف، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 1998م ص306.

[25]. مراد ليتيمي، الحوار وأنماطه في التراث العربي (مقاربة بلاغية تداولية)، أطروحة دكتوراه في البلاغة والخطاب، جامعة تيزي وزو 2020م، ص254.

[26]. ينظر، طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ص311.

[27]. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، ص203/202.

8. المراجع:

(1) الكتب:

1. جواد ختام، التداولية أصولها واتّجاهاتها، ط1، كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، 2016م.

2. بهاء الدين محمّد مزيد، تبسيط التداولية، من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، ط1 شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر 2010م.

3. فيليب بلانشيه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، تر، صابر الحباشة، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، 2007م.

4. طه عبد الرحمان، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء،المغرب، 2000م.
5. عامر خليل الجراح، الإجراءات التداولية التأثيرية في التراث البلاغي العربي بين التأويل والحجاج والإنجاز، ط1، دار سنابل، اسطنبول تركيا، 2019م.
6. الجاحظ (أبي عثمان عمرو بن بحر)، البيان والتبيين، ج1، تحقيق: عبد السلام مُحَمَّد هارون،ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر 1998م.
7. مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، ط1، دار الطليعة بيروت، لبنان، 2005م.
8. أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ط1، منشورات النهضة، بغداد، العراق، 1964م.
9. السكاكي (أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر مُحَمَّد ابن علي)، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور ط2، دار الكتب، بيروت لبنان،1998م.
10. الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد)، أسرار البلاغة، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، ط1، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 1991م.
11. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني وجهوده في البلاغة العربية، دط، دار مصر للطباعة القاهرة، مصر، 1962م.
12. الجرجاني (أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمان بن مُحَمَّد)، دلائل الإعجاز، تحقيق: محمود مُحَمَّد شاكر، ط5، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، 2004م.
13. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان، أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء، المغرب، 1998م.
14. مراد ليتيمي، الحوار وأنماطه في التراث العربي (مقاربة بلاغية تداولية)، أطروحة دكتوراه في البلاغة والخطاب، جامعة تيزي وزو، 2020م.